



الإمامية في موريتانيا ودورها في الإصلاح السياسي خلال القرن 17م
(تجربة الإمام ناصر الدين نموذجاً)
**Imamate in Mauritania and Its Role in political
Reform During the 17th century**
(The Case of Imam Nasir al_ Din as Model)

محمد سالم ولد زيد*

باحث في التاريخ الحديث والمعاصر - جامعة نواكشوط (موريتانيا)

البريد الإلكتروني: salemzeid684@gmail.com

تاريخ النشر
2025/12/01

تاريخ القبول
2025/11/12

تاريخ الإيداع
2025/08/10

ملخص: كباقي سكان المعمورة، أدرك ساكنة المجال الموريتاني، ما للسلطة والدولة الموحدة من أهمية، نظراً لما يترتب على وجودهما من دفع المفاصد وجلب المصالح، وبالتالي ظل البحث عن نظام جامع يوحد البلاد _ وينشر الطمأنينة بين العباد، وتقام الفرائض في كنفه _ بمثابة الشغل الشاغل لساكنة المجال الموريتاني، منذ سقوط الدولة المرابطية، وحتى قيام الدولة الوطنية الحديثة، وعلى الرغم من تعدد الأطروحات والمشاريع السياسية التي عرفها المجال الموريتاني، إلا أن ذلك لم يفلح في إخضاعه لسلطة جامعة إلا بعد قيام الدولة الوطنية الحديثة، حيث انفرد قبل ذلك كل جزء منه بتسيير أموره عن طريق إتباع سياسات خاصة به، وقد اعتمدت تلك السياسات في الغالب على تشريع فقهي يبرر لهذه السلطة أو تلك وجودها، ومن هذا المنطلق أردنا التوقف في ورقتنا البحثية هذه عند تجربة إصلاحية مهمة عرفها جنوب غرب البلاد، خلال القرن السابع عشر الميلادي، وذلك من أجل التعريف برائداتها، ومعرفة الأسس والمركزات التي قامت عليها، وإبراز دورها في سد الفراغ السياسي الذي عانت منه المنطقة فترة زمنية طويلة.

الكلمات المفتاحية: الإمامية ؛ السلطة ؛ موريتانيا ؛ الإصلاح السياسي ؛ الإمام ناصر الدين

Abstract: Like other peoples around the world, the inhabitants of the Mauritanian territory recognized the importance of centralized authority and a unified state, given their role in preventing harm and promoting collective interests. As a result, the quest for a

* المؤلف المرسل

unified political system that could bring cohesion to the land, ensure public order, and provide a secure environment for the performance of religious obligations became a central concern for the region's population. This quest persisted from the fall of the Almoravid state until the establishment of the modern nation-state.

Despite the emergence of various political projects and proposals throughout Mauritanian history, none succeeded in establishing a unified authority until the formation of the modern state. Prior to that, different regions managed their affairs independently, often relying on locally derived legal-religious justifications for their political structures.

This paper seeks to examine a significant reformist experience that took place in the southwestern region of the country during the 17th century. It aims to introduce its pioneer, Imam Nasir al-Din, explore the foundations and principles upon which his movement was based, and highlight its role in addressing the political vacuum that had long afflicted the area.

Keywords: *Imamate, Authority, Mauritania, Political Reform, Imam Nasir al-Din.*

مقدمة

عرفت بلاد شنقيط _سابقا موريتانيا حاليا_ خلال القرن السابع عشر الميلادي، ظهور تجارب إصلاحية متعددة، حاول أصحابها ملأ الفراغ السياسي الذي عانت منه المنطقة بعد انفراط عقد الدولة المرابطية. وقد كانت حركة الإمام ناصر الدين من بين تلك المحاولات الإصلاحية، حيث ظهرت في سياق تاريخي صعب على المستوى المحلي، فكانت البلاد في وضعية صعبة، تمثلت في: تراجع التجارة الصحراوية التي كان عليها المعول في توفير الكثير من حاجات ساكنة البلد، هذا إضافة إلى غياب السلطة المركزية، واتساع رقعة الحروب الأهلية، وانتشار الأزمات البيئية، ناهيك عن الضغط الأوروبي على سواحل البلاد الأطلسية، مما جعل الناس في حيرة من أمرهم، متطلعين إلى مخلص من هذه الوضعية السيئة، والواقع السياسي المتردي، واقع جاءت الإمامية لتكون بمثابة الثورة الجامعة عليه، بحجة أنه لا يتماشى مع النظام الإسلامي الذي ينبغي أن تحكم البلاد بواسطته، فما هي الإمامة لغة واصطلاحاً؟ ومن هو الإمام ناصر الدين؟ وما هي الأسس والمرتكزات التي أقام عليها خطابه السياسي؟ وهل أحدث ما جاء به تحولا على المستوى السياسي في البلاد؟ وما هي محددات ذلك التحول؟

في محاولة منه لانتشال البلاد من وضعيتها السياسية _المتمثلة في أزمة الشرعية- قدم الإمام ناصر الدين، مشروعاً سياسياً استفاد فيه من مرجعيات متعددة، من أهمها: الخلافة الراشدة، وذلك حين قال: "نحن من الصحابة يوم القيامة كشبه الغراب بالغراب"¹، ومن التجربة (المرابطية)² حيث ظل الإمام ناصر الدين في جميع الحالات، هو رائد فكرة الحلف القبلي البدوي، بعد (أبو بكر بن عمر)³ كشكل سياسي أرقى من مستوى القبيلة الواحدة⁴.

كما تأثر بتجربة (المهدي بن تومارت)⁵ في الصحراء، وذلك في طرحه الذي لا يخلو من المهدوية والركون إلى الغيبيات من أجل جمع الناس حوله، تماماً كما فعل (ابن تومارت)، "حين أعلن المهدوية كأسلوب سياسي... تكون به التعبئة والتشديد، لتحقيق النصر."⁶ وقبل أن نطيل الحديث عن هذه التجربة الإصلاحية الجديدة، ودورها في التحول السياسي داخل البلاد، يجدر بنا تقديم لمحة موجزة عن مفهوم الإمامة لغة واصطلاحاً، ثم التعريف بمن قام بتصميم، ومباشرة تنفيذ هذا المشروع الإصلاحي على أرض الواقع، فما هي الإمامة لغة واصطلاحاً؟ ومن هو الإمام ناصر الدين؟

أولاً: مفهوم الإمامة

يعد مفهوم السلطة من بين المفاهيم التي يصعب تحديدها بشكل دقيق نظراً لما تحيل إليه من دلالات ومعانٍ، وما قد تحمله تلك المعاني من شحنات قد لا يخلو بعضها من السلبية أحياناً كالسطوة والتسلط والإفراط في استخدام القوة، لذلك فقد فسرها المهتمون بالشأن السياسي كل حسب سياقه التاريخي ومرجعياته الثقافية، فالسلطة في السياق الإسلامي تحيل إلى "الإمامة" العظمى التي هي القيادة أو الرئاسة أو الخلافة، فهي حسب ابن خلدون "نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به"⁷. ولا يبتعد أصحاب المعاجم كثيراً في تعريفهم للسلطة عن هذا المعنى، "فالسلطة لغة مصدر من فعل تسلط وتحكم وسيطر، ويقال سلطنه أي جعله سلطاناً."⁸

والسلطان هو الحاكم أو الملك أو الإمام الأعظم، وهو "القائد المؤتم به والمقتدى والمتبع" وهو شخص تقدم جماعة على بيعته"⁹. ليتولى تسيير شؤونها وقد عرفه الرازي بقوله: "هو الحجة أو البرهان"¹⁰، وقد يكون الإمام أو السلطان عادلا متعبا للحق كما في قوله تعالى: "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا"¹¹ وقد يكون عكس ذلك ضالا كما في قوله تعالى: "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَفُكُونَ بِأَمْرِنَا"¹²، وفي القاموس المحيط "أم القوم أي تقدمهم وهي الإمامة"¹³، وفي لسان العرب "الإمام كل من ائتم به قومه، وأم بهم أي تقدمهم"¹⁴، أو ترأسهم أو تولى تسيير شؤونهم، ومن حيث الاصطلاح نلاحظ أيضا أن العلماء المسلمين قد جعلوا السلطة مرادفة لمفهوم الإمامة العظمى، فقد عرفها "المارودي" في قوله: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا من خلاله"¹⁵، بينما عرفها "الحويني" بقوله: "الإمامة رئاسة تامة، وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا"¹⁶، وعرفها "النسفي" في عقائده قائلا: "هي نيابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في إقامة الدين، بحيث يجب إتباعه على كافة الأمة"¹⁷.

والإمامة أيضا هي: النظام الذي جعله الإسلام أساسا للحكم بين الناس بهدف اختيار الأصلح من المسلمين لتجتمع حوله كلمة الأمة وتتحد صفوفها وتقام به أحكام الشريعة.¹⁸ ومما سبق يمكننا القول بأن الإمامة تعني القيادة أو الرئاسة أو الخلافة، وأنها وضعت في الأرض لخدمة الدين والدنيا معا، مما يتعارض مع الطرح الذي يقول أصحابه بضرورة فصل الدين عن الدولة والسياسة، وهي ضرورة حياة لأن كل اجتماع بشري بحاجة ماسة إلى قيادة تضبط أموره، وتعمل على الدفاع عن مصالحه ودرء المفسدة عنه، فهي إذا متعلقة بالشأن السياسي وتدير أمور الرعية.

فالإمامة إذا هي: الآلية التي يمكن من خلالها بناء نظام شامل للأفراد في ظل الإسلام، وهي واجبة لما يترتب عليها من مقاصد منها: دفع ضرر الفوضى وإقامة الدين وحفظه، والدعوة إليه بالقلم واللسان والسنان، ودفع الشبه والأباطيل ومحاربتها، وحماية

البيضة وتحصين الثغور، وإقامة الشرائع والحدود، وتنفيذ الأحكام وسياسة الدنيا بالدين، عن طريق تحكيمه في شتى شؤون الحياة، ناهيك عن دورها في إشاعة العدل ورفع الظلم وجمع الكلمة. وهي كلها أمور كان المجال الموريتاني بحاجة ماسة إليها خلال القرن السابع عشر الميلادي، نظراً للوضعية الصعبة التي كان عليها، وضعية دفعت الإمام ناصر الدين إلى محاولة تجاوزها انطلاقاً من تجربته الإصلاحية التي حاول تنفيذها على أرض الواقع، فمن هو الإمام ناصر الدين؟

ثانياً: نبذة عن حياة الإمام ناصر الدين: يكتنف الغموض التفاصيل الدقيقة لبداية حياة الإمام ناصر الدين، ذلك أن المعطيات المتوفرة لدينا تشير إلى أنه كان يحمل اسم "أبو بكر بن أبهم"¹⁹ بينما كان اسمه الأصلي هو أوبك بن أبهم بن أشفع بن بهنض²⁰، وهو عالم من علماء أبناء ديمان، وكان صالحاً ناسكاً²¹، وقد حمل ألقاباً متعددة، خلال فترات زمنية متعددة، فسمى نفسه سيدنا، ثم بإمامنا بعد مدة، ثم مشيع الدين، ثم ناصر الدين²². وكان من بين أثرياء الزوايا، وتجارهم المهرة²³ وقد عاش في القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، وتربى كما يتربى أقرانه من الزوايا، فارتاد المحاظر، واعتنى بتربية مواشي أهله، وقد أسهب "اليدالي"²⁴ في تقديم معلومات تتعلق بصفاته حين قال ما نصه: "وكان رضي الله عنه أبيض اللون، جعد الشعري، قصيراً، مائل الأنف، أفجح الساقين، وكان يعلو وجهه نور ساطع .. وقد فاق بعض شيوخه، وبعض من تفقه معه وكانت له نفس أبيّة، فاق أقرانه ورعا، حين قال إنه أعز فتى في قومه، وكان إذا اتجر أو سافر أرسل معه ضعفاء قومه بضاعتهم، ويملاً لهم أوعيتهم مما معه..، وذلك لتقواه وورعه، ثم يحسن إليهم بعد ذلك، وكانت تحته عقيلة قومه شرفاً وجمالاً، وقل ما يأوي إلى فراشها، لأنه كان صواماً قواماً، وكانت لناصر الدين مكاشفات عجيبة مشهورة"²⁵.

ثالثاً: تجربة الإمام ناصر الدين الإصلاحية الأسس والمرتكزات

إن أي نظرة مغربلة في ما كتبه (اليدالي) حول تجربة الإمام ناصر الدين ستقضي بصاحبها إلى القول بأن مشروعا سياسيا جديدا بدأت تعرفه المنطقة في ركنها الجنوبي الغربي، وهو مشروعا سياسيا يختلف عن ما كان سائدا قبله سواء على مستوى الأسس أو المفاهيم المستخدمة لتنفيذه. فإذا كانت القبائل (المغربية²⁶) قد جعلت من القوة والعنف وسيلة للقضاء على خصومها والهيمنة عليهم، فإن الإمام ناصر الدين، قد أقام مشروعه الإصلاحي الوليد على مفاهيم وأسس جديدة، يمكن النظر إليها كمحددات لبداية تحول سياسي تجلى في النقاط التالية:

1) الاعتماد على مفاهيم (باطنية) لم تكن مطروحة قبله، تمثلت في مفهوم الولاية والكرامة، وهي كلها مفاهيم دينية، ذات طبيعة سياسية، فمن الواضح أن الإمام أعطى أولوية للولي على حساب الفقيه وذلك في محاولة منه لسحب بساط السلطة الروحية من تحت أقدام الفقهاء وتحجيم دورهم، لأن "علم علماء الظاهر (الفقهاء) كنقطة في بحار علم الأولياء"²⁷. والولي من توالى طاعته، ومن تولى الحق سبحانه حفظه وحراسته فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان وإنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة²⁸. قال تعالى: "وهو يتولى الصالحين"،²⁹ وإضافة إلى مفهوم الولاية أعتمد الإمام ناصر الدين أيضا في طرحه على مفهوم المكاشفة، "وكان بدأ مكاشفته فيما روى عنه العدول الثقة، أنه ورد بئر.. في اليوم الموافق عشرين من رمضان مع عبيده ليسقي بقره، وذلك لأنهم أهل بادية، يظعنون ويحلون... ولم يصدر منها إلا بعد هدى من الليل، قال فصليت بعد العشاء ما شاء الله أن أصلي مع التراويح، قال: ثم أويت إلى الفراش لأنام، فهتف بي هاتف أن قم فصل، ويقول "ليلة القدر خير من ألف شهر"³⁰... قال: فبينما أنا بين النائم واليقظان أراقب طلوع الفجر... إذ كشف لي عن أهل الجنة وأهل النار، وأحوال الناس في البرزخ وفي عرصات الآخرة."³¹

ويبدو أن مكاشفة الإمام ناصر الدين أيضاً قد بلغت به في بعض الأحيان إلى إخبار الناس بأمر غيبية مثل: "قرب آجالهم، وما فاتهم من الصوم والصلاة، وما عليهم من التبعات، وحتى ديارهم في الجنة والنار"،³² وفي هذا الكلام شطط واضح لأن صاحبه يخوض في أمور غيبية لا يعلمها إلا الله.

وعلاوة على تبني الإمام ناصر الدين، لمفهومي الولاية والمكاشفة فقد استعان أيضاً بالرواية الكرامية التي هي كالأسطورة "لم تمت في المجتمع العربي الراهن، وما تزال تطل بالإنسان على الأمل، وتمتج بالبطولة الدينية، وتترك العنان للخيال، وتربط الفرد بالمطلق، وتعبّر عن تجارب روحية، وآليات نفسية دفاعية، أو تكييفية".³³ وكان من كرامات الإمام ناصر الدين ما حصل له مع (المختار بن عمر)³⁴ حين حدثه بما جرى بينه من حديث مع الولي الصالح المحبوب قبل وصولهم قصر "تكبه"، يقول المختار بن عمر: "فتذكرت القصة بعينها كلها، فعلمت أنه الفتى الذي أخبرني به المحبوب، فالتمست الأمرتين اللتين ذكر لي في وجهه... وقلت في نفسي كيف أرى التي في أسنانه، فكأنه كوشف له عما في ضميري، فتبسم فرأيت التي في أسنانه، فعلمت أنه إنما تبسم ليرينها، فقلت لهم ما تسألون عنه لست بأعلم به منكم"³⁵، وقد أعترف له بهذه الكرامات أيضاً الفقيه العالم (المصطفى بن القاري)³⁶، حين سأله تلميذه الأديب (محمد بن الكريم بن الفاضل)³⁷ عما عنده في الإمام ناصر الدين مما يدل على ولايته، قال: نعم، شاهدت فيه أربعة أمور، منها أنه أخبره بما فعل (ابن عبل)³⁸ الذي أبطل الاتفاق المبرم بينهم مع (لمغافرة) بعد أن حرضهم ضد الزوايا، قال: فعلمت أن مخبره بذلك ليس بإنسي وأنه كوشف له، كما أنه سمعه يقول في العشية التي سبقت وقعة (ترتلاس)³⁹ بالله الذي لا إله إلا هو ليسكن غدا تلك الفرجة منهزمين، يعني (لمغافرة)، فوقع ذلك كما أخبره به، ومن كراماته أيضاً أنه أخبر (المعزوز بن الأمين بن الفاضل)⁴⁰ بأن زوجة الفقيه (محمد بن الفقيه بن المختار)⁴¹ ستكون زوجة له، فاستشهد محمد، وتزوج المعزوز زوجته.

وزيادة على كل ذلك فإن الإمام ناصر الدين كان يخبر الناس بموعد آجالهم وموضع موتهم، كما حصل مع (باب أحمد بن سيد)⁴²، وأمه وخالتاه، وغير ذلك من أخبار الغيب، مما لا يعد ولا يحصر.⁴³

مما تقدم يتضح لنا أن الإمام ناصر الدين، قد أسرف كثيرا في الاعتماد على الخوارق والغيبيات وهو أمر جعله يقع في صدام عنيف مع بعض فقهاء البلد⁴⁴، حيث رأوا فيه مجرد دجال، يحمل أفكارا ينبغي قمعها بكل الوسائل حتى لا تفسد عقول الناس، ولذلك لم يجدوا بدا من رفع أصواتهم عليه مع العلم أن بعض أهل العلم لم ينكر كرامات الأولياء، لكن ما دامت في حدود المعقول "كأن تكون محصورة في إجابة دعوة أو إظهار طعام في أوان فاقة من غير سبب ظاهر، أو حصول ماء في زمن عطش، أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة، أو تخليصا من عدو أو سماع خطاب هاتف".⁴⁵ فما الذي دفع الإمام ناصر الدين إلى تجاوز المحذور مدعيا بأنه يأتيه خبر السماء عن طريق شخصية الخضر؟ أ هو التوظيف السياسي لعقيدة المهدي المنتظر التي ظلت بمثابة أمل للشعوب المظلومة والمستضعفة نتيجة للأوضاع الداخلية المزرية والضغط الخارجية؟

صحيح أن ثمة عوامل خارجية وداخلية دفعت الإمام ناصر الدين إلى الاعتماد في مشروعه السياسي على مفاهيم لم تكن معهودة قبله محليا كالولاية والمكاشفة والكرامة. فعلى المستوى الخارجي يبدو من الواضح أن الإمام في توظيفه لهذه المفاهيم في طرحه لم يكن بدعا ولا نشازا من موجة المهدوية، التي عرفها المحيط خلال القرن السابع عشر الميلادي، "فقد شهد الغرب الإسلامي عبر تاريخه المديد، الكثير من الحركات المذهبية، والدعوات السياسية، التي رامت التغيير والإصلاح، عامدة إلى استلهاهم ما كان سائدا لدى المغاربة، وعده ابن خلدون من خصائصهم من وقوع الخوارق فيهم وظهور الكاملين في النوع الإنساني من أشخاصهم، ولعل ذلك ما كان أقوى الأسباب الباعثة على اكتسابهم الاستعداد، والالتفاف حول مدعي المهدوية"⁴⁶، وتتحدّر تلك الحركات غالبا من زوايا صوفية عمل أصحابها على

توظيف الكرامة لغاياتهم، وأهدافهم السياسية، وذلك لجمع الناس حولهم، وإقناعهم بما هم عليه، فكثيراً ما "تظهر الحكايات الصوفية البطل متميزاً بوعي فوق المألوف، وحس يقفز إلى قلب الزمن ويتجاوزه، وعقل هو فوق المعقول، وهكذا تبدو الكرامة وسيلة لا للدفاع عن الشخصية بل لتمجيدها بأخلاق رفيعة، وخاصة بإرادة مطلقة، وتنظيم ذاتي للواقع وفق اللابسيبية في الكون والمجتمع، بل قد يبلغ به الأمر حد معرفة ساعة موته⁴⁷، ومكان قبض روحه ودفنه.

ويمكن القول بأن الإمام ناصر الدين قد تأثر بالشيخ أبي العباس (أحمد ابن عبد الله السجلماسي المغربي، المعروف بابن أبي محلي المتوفى 1022هـ 1614م)، الذي قال عنه الناصري "وكان أول أمره فقيها صرفاً، ثم انتحل طريقة التصوف مدة من الزمن، ثم ذهب إلى بلاد "القبلة" ودعا لنفسه، وادعى أنه المهدي المنتظر، وأنه بصدد الجهاد، فاستخف قلوب العوام واتبعوه، وصار ابن أبي محلي يكتأب رؤساء القبائل، وعظماء البلدان يأمرهم بالمعروف ويشيع أنه الفاطمي المنتظر وأن من تبعه هو الفائز ومن تخلف عنه فهو موبق. وربما كان يقول لأصحابه محرضاً لهم على نصرته: أنتم أفضل من الصحابة لأنكم قمتم بنصر الحق في زمن الباطل، وهم قاموا في زمن الحق، ونحو هذا من زخرف كلامه، وقد قتل أخيراً في معركة دارت بينه وبين جيش السلطان زيدان السعدي، وقطع رأسه، وعلقه على سور مراكش .. وزعم أصحابه أنه لم يموت ولكنه غاب وسيعود"⁴⁸، ومن خلال المقارنة بين هذا الكلام، وبين ما أورده (اليدالي) عن الإمام ناصر الدين نجد أن هنالك أوجه تشابه بين الاثنين، تمثلت أساساً في إعلان الجهاد والأمر بالمعروف، فضلاً عن موقفهما ممن لم يسر على خطاهم وتخلف عنهم فأبو العباس⁴⁹ يعتبره موبق، والإمام ناصر يعتبره مجرم، حين قال وقت بيعته لمن تخلفوا عنه "وامتازوا اليوم أيها المجرمون"⁵⁰، وإن كان من الواضح أن أبا العباس أكثر جرأة وتطرفاً حين اعتبر أصحابه أفضل من الصحابة، في حين اكتفى الإمام ناصر الدين بتشبيه أصحابه بهم، حين قال "نحن من الصحابة كشبه الغراب للغراب".

ولذا كان الإمام ناصر الدين قد وجد في العامل الخارجي دافعا جعله يعتمد على تلك المفاهيم لشيوعها في محيطه، فإن العوامل الداخلية قد جعلت الأرضية خصبة ومناسبة، لتلك المفاهيم السياسية التي ألبسها لبوسا دينيا ليقنع بها من حوله، خاصة أن هنالك من يفسر قبول فكرة المخلص بدلالة الأزمات السياسية والاجتماعية الحادة التي تمر بها الشعوب والمجتمعات المختلفة، فهي إذا وليدة التفكير الجمعي في مجتمعات تفكر تفكيرا تيوقراطيا في شؤونها السياسية، سيما وأن المخلص الذي تنتظره هذه المجتمعات له في أغلب الأحيان صفة مزدوجة دينية وسياسية معا، وذا قوة خارقة يأتي للقضاء على الشرور والآلام، ويعيد الناس إلى الطريق القويم بعد ما ابتعدوا عنه، وانغمسوا في الملذات والآثام وهو نفسه قائدًا غازيا فاتحا ومحررا⁵¹. وهذا ما نرى فيه تطابقا مع الواقع الداخلي للبلاد خلال القرن السابع عشر الميلادي، خاصة إذا ما تذكرنا أن تجربة الإمام ناصر الدين لم تأت في ظروف طبيعية، فلا تجارة صحراوية، ولا سلطة مركزية، ومع هذه اللاتوات كانت الحروب الأهلية والحضور الأوروبي والجفاف، مما دفع الناس إلى الميل للغيبات والخوارق والبحث عن مخلص طال انتظاره، ويبدو أن شخصية الإمام ناصر الدين كانت تحمل بعض ملامحه.

وعلى الرغم من كون الإمام ناصر الدين قد أعطى أولوية للباطن على الظاهر إلا أن ذلك لا يعني أنه تخلص كلية عن الظاهر، فكما وظف الباطن (الخوارق والغيبات) لجمع الناس حوله فإنه سيعتمد على الظاهر (الكتاب والسنة)، وذلك للرد على خصومه من عليّة القوم وفقهائهم، جاعلا منهما ملاذاً يحتمي به من هجمات مناوئيه وعامداً إلى تطبيق النص في ظاهره مبتعدا عن تكييفه مع أي واقع معين، مما يعني أنه في هذه المرحلة سيبتعد بنفسه عن فقه الضرورة وتقاليد الفقهاء التي درجوا عليها، وكأنه بذلك أراد الانقلاب على الموجود لكي يبرر وجوده، كما يبدو أن اعتماده على سلاح الظاهر قد فعل فعلته مع قاضي شنقيط (عبد الله أبو محمد)⁵²، الذي شهد للإمام بالعلم والمعرفة، وذلك بعد جدال دار بينهما رجع القاضي أبو محمد بعده إلى تلامذته، ليقول لهم: وجدته والله بحرا يتموج في بدور العلم.⁵³

وبجمعه أي الإمام ناصر الدين بين الظاهر والباطن يكون قد قدم نفسه بالمسألة الشرعية من جهة وبالبهبة الربانية من جهة ثانية، كما أنه سيسحب صلاحيات الفقهاء الروحية لكي يضمها لاحقاً إلى صلاحياته السياسية وذلك ما نرى فيه مظهراً أو محدداً آخر من محددات التحول السياسي الذي جاءت به الإمامية ألا وهو:

2) الجمع بين سلطتي السيف والقلم: وبعبارة ثانية بين السلطتين الروحية والزمنية، خاصة أنه قد سبقت منا الإشارة إلى أن الوضع السياسي في البلاد قبل التجربة الإمامية، قد تميز بظهور سلطة روحية للزوايا موازية لسلطة حسان السياسية، بمعنى أن الفئتين الأرستقراطيتين في المجتمع كانتا تقتسمان السلطة، مما حال دون إقامة نظام مركزي في المنطقة. وهو أمر سعى الإمام ناصر الدين إلى تجاوزه ووضع حد له، وذلك حين جمع السلطتين السياسية والروحية في شخصيته، وهو ما دلت عليه عبارات استخدمها (اليدالي) مثل: وهو يعظم "موعظة بليغة" وتلك مهمة الفقهاء، "استوزر أبهم بن أحمد"، "استقضى محمد بن حبيب"⁵⁴. هذا فضلاً عن إعلانه للجهد والقيام بفتوحات عدة، وبالتالي يكون الإمام ناصر الدين وبواسطة تلك الإجراءات قد أخذ السلطة الروحية المتمثلة في تأدية دور الفقهاء، وذلك بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وأضاف إليها السلطة الزمنية عن طريق جمع الغنيمة وتعين القضاة والوزراء، وإعلان الجهاد والفتوحات، فهل ستفلق تلك الخطوة في إقامة نظام مركزي؟ لن يحتاج من يتولى الإجابة على مثل هذا السؤال كثير وقت ليرد بلا. لم يفلح الإمام بأفعاله تلك في إقامة نظام مركزي داخل البلاد، وذلك لأن مشروعه السياسي ظل محصوراً في إطار اجتماعي ضيق، تمثل في مجموعة (تشمشة⁵⁵) وهذا ما صرح به الوفد المفاوض باسم الإمام ناصر الدين مع (المغافرة)، حين قال: "تركونا نحيا السنة ونقيم حدود الله ونخدم العلم، ونعبد الله، ونعمر لكم البلاد ونعدل فيها، ولا نتعرض لكم ولا (لأزناكتكم⁵⁶)"، ولا لأموالكم، ولا لملككم بشيء، ولم يفعل شيئاً ينقم منا إلا أنا بايعنا إماماً يسوس لنا أمر ديننا ودينانا⁵⁷، فمن الواضح إذاً ومن خلال هذه المفاوضات أن المشروع الإصلاحية الذي سيقوم

الإمام المبايع بإقامته إنما يخص ناسا بعينهم، وهم مجموعة (تشمشة)، وذلك ما يتعارض بالطبع مع النظام المركزي الذي من المفترض أن يذعن له الجميع، فيأتمرون بأمره وينتهون بنهيه، وكما ظل مشروع الإمام ناصر الدين ابن مجتمع بعينه، فإنه أيضا سيظل ابن منطقة جغرافية بعينها، ألا وهي منطقة "القبلة" وذلك ما سيحاول الإمام بالتأكيد تغطيته حين بادر لا حقا إلى جعله أكثر شمولية، لدرجة دفعته إلى إعلان ما يشبه الخلافة الراشدة، وهي خطوة نرى فيها قفزة كبيرة للإمام ناصر الدين من مشروع (شمشوي) ضيق إلى خلافة راشدة كما نرى فيها محددات آخر من محددات التحول السياسي الناجمة عن التجربة الإمامية ألا وهي حمل سمات الخلافة الراشدة.

3) سمات الخلافة الراشدة: فكثيرا ما تدعي حركات الإصلاح السياسي سعيها لتحقيق غاية نبيلة ألا وهي: استعادة تجربة الدولة الإسلامية في عصورها الأولى، وهو أمر تبناه الإمام ناصر الدين، فكان جريئا في طرحه حين أعلن عن تأسيس دولة على منوال الخلافة الراشدة، كافرا بالواقع السياسي القائم، ومشبها أتباعه بالصحاب في أفعالهم وتصرفاتهم، وذلك في مقولته الشهيرة "نحن من الصحابة يوم القيامة كشبه الغراب بالغراب"، متخذا عدة إجراءات جعلت سمات الخلافة الراشدة تطفو على سطح مشروعه السياسي، إجراءات بدأها بما بدأ به النبي صلى الله عليه وسلم دعوته ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. واستمر على تلك الحالة ثلاثة سنوات وهو يعظ قومه "فتاب الناس وخشعوا، وأقبلوا على طاعة الله، والاشتغال بالآخرة عن الدنيا، حتى سمت العامة تلك السنين سني التوبة، وأحبه الناس حبا شديدا ولزموه، ويدع الرجل أهله وولده وماله للضياع للزومه، ولا يفارقه الناس إلا حين يقضي حاجته في الخلاء، وألزم النساء منازلهن وبيوتهن، فلا يرى لهن شخص ولا يسمع لهن صوت"⁵⁸. ولعله بذلك استلهم من السيرة النبوية. فقد بقي النبي صلى الله عليه وسلم، يدعو الناس بمكة، ويعبد الله سرا ثلاث سنوات حتى نزلت الآية "فا صدع بما تؤمر"⁵⁹ في السنة الرابعة⁶⁰، وبأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر يكون الإمام ناصر الدين قد حقق

نتيجة مهمة تمثلت في المؤاخاة بين الناس، يقول اليدالي: "وأذهب الله ببركته ما كانوا عليه من التحاسد والتباغض والتنافس"⁶¹، وهو أمر كان من أولويات النبي صلى الله عليه وسلم، حين وصل المدينة المنورة، لوضع أسس دولة الإسلام الوليدة، حيث آخى بين الأوس والخزرج، كما أنه أي الإمام ناصر الدين "قد تمكن من خلال إعادة بناء مفهوم التوبة من تأسيس قالب أيديولوجي مرن يلاءم طموحه السلطوي، وكذا الوضعية الذهنية لسكان يدفعهم العنف نحو التعلق أكثر بالسماء، ذلك لأن التوبة في أصلها الديني، مطلب دائم لكل مسلم، غير أن وظيفتها السياسية ومحتواها الأيديولوجي قد تمت محورتها الظرفية هنا حول شخصية الولي الاستثنائية التي عبأت حوله القبائل وغيّرت في نفس الوقت طبيعة الثوابت الأصلية لحلف (تشمشة)⁶². فكان لا بد إذا من خطوة ثالثة لكي يشعر الناس بأن دولة الخلافة قد أظلمت وأصبحت واقعا ملموسا وحلما متحققا، تمثلت هذه الخطوة في أخذ البيعة لنفسه يقول اليدالي: "ثم إن وجوه الطلبة وعرفائها، لما رأوا رغبة الناس في ناصر الدين واجتماعهم عليه، اجتمعوا على بيعته، فبايعوه تحت الشجرة السمرة، تأسيساً بالذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وقيل إنها سمرة، فقال حين بوبع⁶³ وامتازوا اليوم أيها المجرمون"⁶⁴، وعلى الرغم من أن تلك البيعة يكتنفها الغموض نتيجة لعدم وجود نص صريح بها، إلا أنها على ما يبدو قد خولت للإمام ناصر الدين، ومنذ ذلك الوقت أن يتصرف كما يتصرف أولياء الأمور والخلفاء في تدبير شؤون دولهم، فعمد إلى تعيين الوزراء والقضاة، وفي ذلك يقول اليدالي "إن ناصر الدين لما ولي استوزر أبهم بن أحمد، وسماه القاضي عثمان، واستقضى محمد بن حبيب الله، والفاضل بن محمد، والفاضل بن محمد المختار الباركلي، والحبيب بن الحسين، وسموا محمد بن حبيب الله قاض المجلس، لأنه كان يقضي في مجلس الإمام ناصر الدين، وكان أحظى الناس عنده"⁶⁵. فمن الواضح إذا من خلال هذه الإجراءات أن الإمام كان حريصاً أشد الحرص على إرساء قواعد دولة إسلامية قوية تعطي لكل ذي حق حقه، حيث أعطى الإمام أهمية خاصة للقضاة، وذلك من أجل إحياء السنة

واقامة الحدود، كما كانت في عهد الصحابة رضي الله عنهم⁶⁶، ويرى ابن المقفع أن تنظيم القضاء يشكل جانبا مهما من الجوانب التي تقوم عليها الدولة، ومن ثم فلا مناص من العمل على ضبطه، فالخليفة عليه واجب التمسك بالشرع والعدل وأن يؤسس قوانين تقوم ولائته بموجبها بتصرفات محققة للعدل والإنصاف بعيدا عن المواقف الشخصية والمزاجية حتى يشعر الجميع بالطمأنينة في ظل القانون والنظام⁶⁷. وهو أمر يبدو أن الإمام ناصر الدين قد استشعره حين عين القضاة، وخاصة القاضي عثمان الذي يقول فيه (اليدالي) "كان شديدا على العصاة، لين الجانب للضعفاء أبي النفس فريدا بفضله على فضلاء معاصريه، من آيات الله في الشجاعة، شديد العارضة في الحق"⁶⁸، كما أن الإمام أيضا عمد إلى جباية الزكاة، وذلك لتحقيق هدفين رئيسيين: الأول هو توفير المال الضروري لإقامة مشروعه الإصلاحية، والثاني هو تأكيد سيادته على كل الذين يعيشون في كنف دولته، وفي هذا الإطار تقول الرواية الشفهية المتداولة، أن سيد الحسن ابن القاضي، وكان عاملا لناصر الدين على الصدقات جاء به بن "آصور اصكاعي" وطلب منه إخراج زكاة إبل عنده.⁶⁹

فالمتمعن إذا في كل هذه الإجراءات التي أقدم عليها الإمام ناصر الدين مدرك لا محالة أن مشروعه السياسي قد حمل بعض سمات الخلافة الراشدة. وهو أمر قال به (الخليل النحوي) حين سماه " بدولة التوبة الراشدة"⁷⁰، دولة تم فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقيمت الحدود، وجمعت الزكاة، وأخذت البيعة من رعيته، فشكلت بذلك انقلابا جذريا على ما كان سائدا في المنطقة منذ انقراط عقد الدولة المرابطية، علما بأن مؤسسها لم يقف عند هذا الحد، بل إنه سيتخذ إجراءات إضافية نرى فيه ميسم فصل بين طرحه السياسي وما كان قبله، كما نرى فيه محددات أخرى من محددات التحول السياسي ألا وهو إعلان الجهاد.

4) إعلان الجهاد: لم يتردد الإمام ناصر الدين في إعلان الجهاد على الوثنيين جنوبا، حيث قام بفتوحات عديدة، شملت مناطق شاسعة من حوض النهر، وقد تمت عمليات التوسع تلك على حساب الممالك السودانية التي كانت تبسط سيطرتها على المنطقة، يقول

اليدالي: "وفي أيام ناصر الدين كانت فتوحات: ففتحت فوتا .. وفتحت جلوف على يد
الفاضل أبي يعدل .. وفتحت بلاد إيسينغان .. وفتحت شمامه".⁷¹

و من الجدير بالذكر أن الإمام ناصر الدين لم يكن يبادر بفتح أي منطقة إلا حين يرسل
رسلا لمن يتولون أمرها من أجل دعوتهم إلى الإسلام، والتخلي عن عبادة الأوثان، وإقامة
الصلاة، ومثال ذلك نراه، قد حصل مع (فوته)⁷² التي بدأت الخطوات الأولى لفتحها بإرسال
الرسل إلى ملكها الذي رفض الاستجابة لهم وقام بطردهم وتوعدهم بالقتل في حالة العودة
إليه وذلك بعد ما ترددوا عليه سبع مرات بغرض التسليم والالتزام بضوابط الشرع. فما كان
من الإمام ناصر الدين إلا أن توجه إلى فوته في أواخر 1673م وفتحها على يد النحوي أكد
عبد الله أكد المختار⁷³ الذي استعمله عليها⁷⁴، وقد اعتبر البعض أن من خصائص حركة
الإمام ناصر الدين هو كونها قد حملت لواء الإسلام المجاهد لأول مرة في المنطقة منذ عهد
المرابطين بعد قرون من الفراغ السياسي في الصحراء الصنهاجية.⁷⁵

وتجدر الإشارة إلى أن الإمام ناصر الدين لم يلق صعوبة كبيرة في السيطرة على
أقاليم حوض النهر، بفعل عوامل كان أولها: أنه اعتمد على السكان المحليين، الذين سرعان
ما تملك قلوبهم، وأصبح يضرب بهم الملوك التقليديين الواحد تلو الآخر، فكان يحرضهم
على الثورة، فيفعلون، نظرا لأنهم عانوا من تسلط ملوكهم عليهم وظلمهم لهم لدرجة وصلت
بهم إلى جعلهم جزءا من التجارة المثلثة التي كانت قائمة بين أوروبا وأمريكا والسواحل
الإفريقية، وهو أمر رفضه الإمام ناصر الدين عن طريق تحريمه لبيع الرقيق ومحاربه لتلك
التجارة. وكان يقول: "إن الله لا يبيح للملوك أن ينهبوا أو يقتلوا، أو يستعبدوا شعوبهم، بل
أمرهم برعايتهم، وحمايتهم من أعدائهم، وأن الشعوب لم تخلق للملوك بل خلقت الملوك
للشعوب"⁷⁶، الأمر الذي جعل الكثير من الناس يرى فيه مخلصا من الوضعية السيئة التي
كان يعاني منها. كما أن وجود أرضية سياسية وأيديولوجية ملائمة كانت من أهم العوامل
التي مكنت الإمام من سرعة بسط نفوذه كما يرى ولد السعد "فقد أوحى النصوص السابقة

للقرن السابع عشر الميلادي بوجود إسلام بلاط في الممالك السودانية، ناب عنه في النصف الثاني من القرن نفسه انتشارا أوسع للإسلام في صفوف السواد الأعظم من السكان .. وإن كان ذلك مشوبا بالكثير من الممارسات الخاطئة، والعادات الإفريقية القديمة⁷⁷، زد على ذلك أن البعد السيكولوجي للأفارقة قد جعله بعض الغربيين السبب الأول في انتشار هذا النوع من الحركات، إذ يفسر "بول مارتي" السبب وراء التصوف في إفريقيا كون الإفريقي لا يستطيع أن يحيى في هذه الدنيا آملا نيل الثواب في الآخرة، إلا إذا سار وراء رجل حلت عليه البركة الإلهية⁷⁸، ولذلك فإن المتتبع لحركة الإمام ناصر الدين يدرك بوضوح أهمية هذا البعد في انتشارها، وكيف ساهمت مكاشفات الرجل في التقاف الناس حوله، ومبايعتهم له، مما أدى إلى اتساع رقعة نفوذه فيما بعد دون عناء كبير، خاصة في منطقة حوض نهر السنغال التي استولت عليها الحركة الإمامية في أقل من خمس سنوات.

وبتلك الخطوة أي خطوة الفتح والجهاد يكون الإمام قد أضاف عدوا جديدا لمشروعه السياسي الذي صار مصدر إزعاج لثلاثة أطراف هي: "لمغافر"، و"الأوربيين" و"الملوك التقليديين"، فأصبحت هذه الجهات الثلاثة معنية بوضع حد له قبل أن يصل نقطة اللاعودة، وبالتالي تهيأت العوامل الكفيلة بنهاية أمر الولي ناصر الدين.

وقبل طي صفحة مشروع الإمام ناصر الدين، ودوره في التحول السياسي خلال القرن السابع عشر الميلادي، لا بأس إذا ذيلناه ببعض الاستنتاجات، وذلك على النحو التالي:

(أ) أنه على الرغم من قصر الفترة الزمنية التي شغلها مشروع الإمام ناصر الدين الإصلاح، إلا أنه كان بمثابة محاولة جادة أحدثت تغييرا واضح المعالم في الوضع السياسي وذلك من حيث الاعتماد على مفاهيم سياسية جديدة لم تكن مطروحة من قبله.

(ب) يبدو من الواضح أن الإمام ناصر الدين قد استفاد في مشروعه الجديد من مرجعيات ثلاثة، تمثلت أولاها في دولة الخلافة الراشدة التي بدت بعض سماتها واضحة في طرح الإمام ناصر الدين مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فضلا عن المؤاخاة بين الناس

وأخذ البيعة وجباية الزكاة، بينما تمثلت مرجعيته الثانية في الدولة المرابطية التي استلهم منها الاعتماد على تكتل قبلي سيكون فيما بعد تشكيلاً سياسياً أرقى من مستوى القبيلة الواحدة، وهو ما فعله أبو بكر بن عمر حين اعتمد على مجموعة من القبائل الصنهاجية لتحقيق الهدف ذاته، كما أن الجهاد والفتح ظل بمثابة القاسم المشترك بين الدولة المرابطية ودولة ناصر الدين. وأما المرجعية الثالثة فتمثلت في تجربة المهدي بن تومارت وذلك حين ركن الإمام ناصر الدين إلى الغيبيات والخوارق، كأسلوب سياسي يهدف إلى جمع الناس حول.

ج) أن شخصية الإمام ناصر الدين تشبه إلى حد بعيد شخصية (المهدي بن تومارت)، وذلك من خلال بعض التصرفات التي أقدم عليها في تعامله مع الناس، فهو كما يقول اليدالي: "كان لا يقضي أمراً دون مشورة العلماء وكان العلماء عنده بمكان يعظمهم ويؤثرهم، وكان ينزل الناس منازلهم، ويحب الفقراء والمساكين، ويعرض عن الأغنياء، وكانت تضربه مصافحة العصاة وربما ورمت يده منها، وجاءه رجل من رؤساء الزوايا كثير البقر... فأعرض عنه لغناه⁷⁹، فمثل هذا التقشف والإعراض عن الدنيا نجده عند ابن تومارت، حين وجه الدعوة إلى أتباعه كي يسلكوا مسلك التقشف، ويعرضوا عن الدنيا وملذاتها ومما قال لهم "لا تبذروا ولا تسرفوا ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل"، كما قال "ولا تغتروا بالدنيا فإنها فانية، وكل من عليها فان .. واحذروا من مكرها وتقلب أحوالها لا تدوم على حالها، تكدر نعيمها وتتنقص ملذاتها⁸⁰، كما أن الشورى ظلت قاسماً مشتركاً بين كل من المهدي بن تومارت والإمام ناصر الدين. فلئن كان الأخير لا يقطع أمراً دون مشورة العلماء، فإن الأول هو الآخر يعتني بأمر الشورى، وكانت له ثلاثة مجالس شورية، هي: مجلس العشرة، ومجلس الخمسين، ومجلس السبعين، إضافة إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجباية الزكاة كلها أمور اعتنى بها الرجلان.

د) إن الإمام ناصر الدين، ومن خلال اعتماده على المرجعيات الثلاثة السالفة الذكر قد تسبب بشكل أو بآخر في إيجاد تناقض بين في أسس مشروعه الإصلاحية، فهو من ناحية

يدعي محاولة إقامة الدولة الراشدة، بينما يوغل في الغيبيات والخرارق، وتلك مسألة منعت الإجماع على مشروعه، وجعلت فقهاء الظاهر لا يكتفون فقط بعدم الوقوف في صفه، بل إنهم سيحرضون "لمغفرة" ضده، غير أننا نفسر فعلته تلك بتأثره بمحيط خارجي انتشرت فيه المهدوية بشكل واسع، هذا من ناحية، ولكي يجمع الناس حوله لإنفاذ مشروعه الإصلاحي المثير للجدل من ناحية ثانية.

(هـ) لم يقتصر تأثير حركة الإمام ناصر الدين على المجال الموريتاني فحسب، وإنما سيتجاوزه إلى أقاليم حوض نهر السنغال التي تم إخضاعها بواسطة تأليب الرأي العام ضد ملوكها التقليديين، الأمر الذي سينتج عنه بعد ذلك قيام حركات إماميه بتأثر من حركة ناصر الدين، مثل حركة التأسيس الإسلامي في "بندو"، وثورة الأئمة في "فوتاجالو" و"فوتاتورو".

(و) إن محيط الإمام ناصر الدين القبلي (الشمشوي) قد دفعه إلى خوض نزال عسكري ساخن مع المجموعات (المغربية) فيما عرف بحرب (شريبه) وهو نزال يبدو أنه لم يكن بين الزوايا وحسان بقدر ما كان أيضا بين الزوايا أنفسهم، لأن (المغفرة) لم يتحركوا ضد حركة الإمام ناصر الدين إلا حين تلقوا الضوء الأخضر من قبل بعض الفقهاء، وبعد ذلك سارعوا إلى وأدها في (ترتلاس) بمساعدة من الأوربيين الداعمين بالسلاح وكذلك الملوك التقليديين الطامحين إلى استعادة ما خسروه نتيجة لمشروع الإمام ناصر الدين السياسي.

خاتمة

انطلاقا مما تقدم يمكننا القول بأن تجربة الإمام ناصر الدين الإصلاحية التي عرفتھا البلاد خلال القرن السابع عشر، وعلى الرغم من كونها لم تغلح في توحيد البلاد تحت حكم مركزي جامع إلا أنها مع ذلك كانت بمثابة حلقة مهمة في سلسلة الإصلاحات السياسية التي مافتتت البلاد تعرفها بين الفينة والأخرى وذلك قبل قيام الدولة الوطنية، حيث قامت التجربة الإصلاحية للإمام ناصر الدين على أسس ومراكزات كان من أهمها: الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر، والحث على العلم، فضلاً عن الدعوة إلى الاهتمام بالرعية وإشاعة العدل بينها، كما تم الميل في هذه التجربة الإصلاحية إلى توظيف مفهوم الولاية والنزعة الكرامية، كأساليب سياسية سعى من خلالها الإمام ناصر الدين إلى مخاطبة العامة من أجل إقناعهم بمشروعه الإصلاحية الجديد.

الهوامش:

- ¹ الشيخ (محمد اليدالي)، أمر الولي ناصر الدين، تحقيق محمذن ولد باباه، بيت الحكمة، قرطاج، بدون تاريخ نشر، ص 134
- ² دولة أقامتها قبائل صنهاجة خلال القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي، وقد سيطرت على بلاد المغاربة والأندلس، وأجزاء من غرب إفريقيا، وكان لها دور محوري في نشر الإسلام في المنطقة
- ³ هو أبو بكر بن عمر اللمتوني، من أمراء الدولة المرابطية، توفي سنة 1087م
- ⁴ مناه (أحمد محفوظ)، ميراث السببية، دراسة في تاريخ الثقافة السياسية في بلاد شنقيط موريتانيا، بدون معلومات نشر، ص 72-73
- ⁵ مؤسس الدولة الموحدية، توفي سنة 524هـ
- ⁶ عمر النجار (عبد المجيد)، فقه الإصلاح بين التربية والسياسة (ابن العربي وابن تومارت نموذجاً)، بدون ناشر، ص 70
- ⁷ ابن خلدون، المقدمة، مكتبة الصفا للنشر والتوزيع، الطبعة 1، 2016، ص 185
- ⁸ معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، جمهورية مصر العربية، 2004، ص 443
- ⁹ المطهري مصطفى، الإمامة، ترجمة على كسار، مؤسسة البلاغ، ط2، بيروت 1991، ص 32
- ¹⁰ الرازي زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت 1990، ص 11
- ¹¹ سورة الأنبياء، الآية 24
- ¹² سورة القصص، الآية 41
- ¹³ الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت 2005، ص 1077
- ¹⁴ ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج12، دار صادر بيروت، بدون تاريخ نشر، ص 24
- ¹⁵ المارودي (أبو الحسن)، الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد امبارك البغدادى، مكتبة دار ابن قتيبة، ط1، الكويت، 1989 م، ص 3
- ¹⁶ الحويني، ابو المعالي، غياث الأمم في التياث الظلم ج1، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، مصدر سابق، ص 15
- ¹⁷ النسفي، عمر بن محمد، العقائد النسفية، شركة صحافة عثمانية، 1326 هـ، ص 179

- ¹⁸ مهران (محمد بيوم)، الإمامة وأهل البيت، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط2، 1995م، ص7
- ¹⁹ الشيخ محمد اليدالي، أمر الولي ناصر الدين، مصدر سابق، ص 118
- ²⁰ ولد الحسن (جمال)، حركة الإمام ناصر الدين ومنزلتها من تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة انواكشوط، العدد الأول، ص 9
- ²¹ الشنقيطي (أحمد الأمين)، الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1989، ص 469
- ²² الشيخ محمد اليدالي، أمر الولي ناصر الدين، مصدر سابق، ص 127
- ²³ ولد سيد أحمد (محمد الأمين)، السلطة والفقهاء في إمارة اترارزة، مرجع سابق، ص 84
- ²⁴ هو الشيخ محمد اليدالي الديماني فقيه ومؤرخ موريتاني، له مؤلفات عدة منها كتابه "أمر الولي ناصر الدين
- ²⁵ الشيخ محمد اليدالي، أمر الولي ناصر الدين، مصدر سابق، ص 118
- ²⁶ هي مجموعة قبائل وصلت إلى موريتانيا ضمن الهجرات الحسانية، ويرجع نسبها إلى جعفر بن أدي بن حسان
- ²⁷ الشيخ (محمد اليدالي)، أمر الولي ناصر الدين، مصدر سابق، ص 120
- ²⁸ النبھاني (يوسف بن إسماعيل)، جامع كرامات الأولياء، ج1 المكتبة الشعبية، بيروت، ص 33
- ²⁹ سورة الأعراف: الآية 196
- ³⁰ سورة القدر: الآية 3
- ³¹ الشيخ (محمد اليدالي)، أمر الولي ناصر الدين، مصدر سابق، ص 119
- ³² نفس المصدر السابق، ص 121
- ³³ على زيعور، الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم (القطاع اللاوعي في الذات العربية)، ط1، دار الطليعة للطباعة، بيروت، 1977 ص 17
- ³⁴ رجل من إديهم من قبيلة أولاد ابيري معاصر للإمام ناصر الدين
- ³⁵ الشيخ محمد اليدالي، أمر الولي ناصر الدين، مصدر سابق، ص 138
- ³⁶ من انتاب البيظ المنتمين نسبا إلى أولاد الناصر، كان من العلماء العاملين المتبعين للسنة، من أهل القرن الحادي عشر.
- ³⁷ هو محمد الكريم بن الفال بن الكوري، معاصر لابن رازكة، وكان عزيزا في قومه، عالما يؤم الصلاة بالزوايا في اجتماعاتها العامة.
- ³⁸ هو محمود بن علي بن دامن، أحد قادة جيوش لمغافرة في حرب شربة، اشتهر بتحمسه واندفاعه في قمع الزوايا ومقاتلتهم.
- ³⁹ منطقة تقع جنوب غرب البلاد، قتل فيها الإمام ناصر الدين
- ⁴⁰ المعزوز بن انتشف الأمين بن سيدي الفال، وهو معاصر لناصر الدين، قاد المعارك وأبلى بلاء حسنا فيها.
- ⁴¹ الفقيه محمد بن الفقيه المختار، محمد بن أشفغ المختار من ادواي، ووقعت حول موضوع توبته خوارق يطول الحديث في استطرادها.
- ⁴² هو باب أحمد بن سيدي بن بوبل بن محنض، من بطن أهل عبد الله بن محنض بن ديمان، مات بعد نهاية شربة بقليل.

الإمامية في موريتانيا ودورها في الإصلاح السياسي خلال القرن 17م (تجربة الإمام ناصر الدين نموذجاً)

- ⁴³ انظر الشيخ محمد اليدالي، أمر الولي ناصر الدين، مصدر سابق، ص 141-142-146-147
- ⁴⁴ منهم على سبيل المثال محمد المختار بن الأعمش العلوي، ومحمد بن أبي بكر بت هاشم الغلاوي، والشيخ عبد الله الحسني
- ⁴⁵ النبھاني (يوسف ابن إسماعيل)، جامع كرامات الأولياء، ج1، المكتبة الشعبية، بيروت، بدون تاريخ نشر، ص 32
- ⁴⁶ لخضر بولطيف، نقلا عن ابن خلدون، المهدوية في الغرب الإسلامي، بين الرمز الديني والتوظيف السياسي، ط2، دار الغرب الإسلامي، الرباط، 1983، ص 1
- ⁴⁷ على زيعور، الكرامة الصوفية الأسطورة والحلم، (القطاع اللاوعي في الذات العربية)، دار الطليعة للطباعة، ط1، بيروت، 1977، ص 118
- ⁴⁸ الناصري، أبو العباس، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، ط1، دار الكتاب للطباعة، الدار البيضاء، بدون سنة نشر ص 26_34
- ⁴⁹ هو أحمد بن عبد الله السجلماسي المغربي المتوفى 1022هـ
- ⁵⁰ الشيخ (محمد اليدالي)، أمر الولي ناصر الدين، مصدر سابق، ص 127
- ⁵¹ ذو القفار (علي ذو القفار)، التوظيف السياسي لعقيدة المهدي وخطره على الأمن العراقي، مركز بانقيا للأبحاث والدراسات، ط1، 2013، ص121
- ⁵² هو القاضي عبد الله ابن محمد بن حبيب، قاضي شنقيط وقاضي لبراكنة، أول من قدم إلى القبلة من أيدوعلي، توفي عام 1103هـ 1691م
- ⁵³ الشيخ (محمد اليدالي)، أمر الولي ناصر الدين، مصدر سابق، ص121
- ⁵⁴ الشيخ (محمد اليدالي)، أمر الولي ناصر الدين، مصدر سابق، ص 127-128-130
- ⁵⁵ حلف قبلي ضم مجموعة من قبائل الزوايا، التي كانت تهتم بالعلم، ومنهم أولاد ديمان، وبني بعقوب وغيرهم
- ⁵⁶ نسبة إلى مجموعة آزيانكه، وكانت من الفئات التابعة في المجتمع الموريتاني التقليدي
- ⁵⁷ الشيخ (محمد اليدالي)، أمر الولي ناصر الدين، مصدر سابق، ص 141
- ⁵⁸ الشيخ (محمد اليدالي)، أمر الولي ناصر الدين، مصدر سابق، ص127
- ⁵⁹ سورة الحجر، الآية. 94
- ⁶⁰ النحوي الخليل، بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ص 304
- ⁶¹ الشيخ محمد اليدالي، أمر الولي ناصر الدين، مصدر سابق، ص 127
- ⁶² مناه أحمد محفوظ، ميراث السبيبة، مرجع سابق، ص 68
- ⁶³ الشيخ محمد اليدالي، أمر الولي ناصر الدين، مصدر سابق، ص 127
- ⁶⁴ سورة يس، الآية: 36
- ⁶⁵ الشيخ محمد اليدالي، مصدر السابق، ص 128-129
- ⁶⁶ نفس المصدر، ص 134
- ⁶⁷ ولد شعيب إسماعيل، الخطاب السياسي لدى الحضرمي الآزوكي، دراسة تحليلية نقدية مقارنة لفكر أبي بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي، مطبعة سافور للمعلوماتية، 1997، ص ص 61. 62

- ⁶⁸ الشيخ محمد اليدالي، أمر الولي ناصر الدين، مصدر سابق، هامش ص 128
- ⁶⁹ النحوي (الخليل)، بلاد شنقيط المنارة والرباط، مرجع سابق، ص 307
- ⁷⁰ مصطلح أطلقه الخليل النحوي على تجربة الإمام ناصر الدين، وذلك في كتابه بلاد شنقيط المنارة والرباط ص 303
- ⁷¹ الشيخ محمد اليدالي، أمر الولي ناصر الدين، مصدر سابق، ص 130-131-132
- ⁷² مملكة سودانية عرفت بها منطقة جنوب البلاد
- ⁷³ هو النحوي أكد عبد الله بن أكد بن المختار، بايعته زوايا جبهة حرب شربة الشرقية، كان قائدا شجاعا فتح فوته وقاد معارك أخرى.
- ⁷⁴ ولد محنض (الحسين)، تاريخ موريتانيا الحديث من دولة الإمام ناصر الدين إلى قدوم الاستعمار، ط1، دار الفكر، 2010، ص21
- ⁷⁵ ولد الحسن (جمال)، حركة الإمام ناصر الدين ومنزلتها من تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص 10
- ⁷⁶ نفس المرجع، ص11
- ⁷⁷ ولد السعد (محمد المختار)، حرب شربة أو أزمة القرن السابع عشر في الجنوب الغرب الموريتاني، مرجع سابق، ص 121
- ⁷⁸ قذاح (نعيم)، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 118
- ⁷⁹ الشيخ (محمد اليدالي)، أمر الولي ناصر الدين، مصدر سابق، ص 134
- ⁸⁰ النجار (عمر عبد المجيد عمر)، فقه الإصلاح بين التربية والسياسة، مرجع سابق، ص 64

قائمة المصادر والمراجع

- ابن خلدون، المقدمة، مكتبة الصفا للنشر والتوزيع، الطبعة 1، 2016
- ابن محنض (الحسين)، تاريخ موريتانيا الحديث، من دولة الإمام ناصر الدين إلى قدوم الاستعمار، دار الفكر، ط1، 2010
- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج12، دار صادر بيروت، بدون تاريخ نشر
- الحويني، ابو المعالي، غياث الأمم في التياث الظلم ج1، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، بدون تاريخ نشر
- ذو الفقار (علي ذو الفقار)، التوظيف السياسي لعقيدة المهدي وخطره على الأمن العراقي، مركز بانقيا للأبحاث والدراسات، ط1، 2013
- الرازي زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت 1990
- الشنقيطي، أحمد الأمين، الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1989

الإمامية في موريتانيا ودورها في الإصلاح السياسي خلال القرن 17م (تجربة الإمام ناصر الدين نموذجاً)

- الشيخ (محمد اليدالي)، أمر الولي ناصر الدين، تحقيق محمذن ولد باباه، بيت الحكمة، قرطاج، بدون تاريخ نشر
- على زيعور، الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم (القطاع اللاوعي في الذات العربية)، ط1، دار الطليعة للطباعة، بيروت، 1977
- عمر النجار (عبد المجيد)، فقه الإصلاح بين التربية والسياسية (ابن العربي وابن تومارت نموذجاً)، بدون ناشر
- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت 2005
- قداح (نعيم)، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975
- لخضر بولطيف، المهدوية في الغرب الإسلامي، بين الرمز الديني والتوظيف السياسي، ط2، دار الغرب الإسلامي، الرباط، 1983
- المارودي، أبو الحسن، الأحكام السلطانية، ط1، تحقيق أحمد امبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989
- المطهري، مصطفى، الإمامة، ترجمة على كسار، مؤسسة البلاغ، بيروت، ط2، 1991
- معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، جمهورية مصر العربية، 2004
- مناه (أحمد محفوظ)، ميراث السببية، دراسة في تاريخ الثقافة السياسية في بلاد شنقيط موريتانيا، بد مهران، محمد بيوم، الإمامة وأهل البيت، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط2، 1995م
- الناصري، أبو العباس، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، ط1، دار الكتاب للطباعة، الدار البيضاء، بدون تاريخ نشر
- النبهاني (يوسف بن إسماعيل)، جامع كرامات الأولياء، ج1 المكتبة الشعبية، بيروت، بدون تاريخ نشر
- النحوي الخليل، بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس
- النسفي، عمر بن محمد، العقائد النسفية، شركة صحافة عثمانية، 1326 هـ
- ولد سيد أحمد، محمد الأمين، السلطة والفقهاء في إمارة اترارزة، مطبعة المنارة، 2003
- ولد شعيب إسماعيل، الخطاب السياسي لدى الحضرمي الآزوكي، دراسة تحليلية نقدية مقارنة لفكر أبي بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي، مطبعة سافور للمعلوماتية، 1997